العرب
السبت 2020/08/15
السنة 43 العدد 11790

# في التبرّم من التفكير النقدي الفلسطيني

ماجد كيالي
كاتب سياسي فلسطيني

ثمة اعتقاد يجري الترويج له في أوساط الطبقة السياسية السائدة، في الساحة الفلسطينية، مفاده أن النقد السياسي للتجربة الفلسطينية (المنظمة والسلطة والفصائل)، بخطاباتها وبناها وممارساتها وعلاقاتها وأشكال عملها، زاد عن حدّه، أو إنه بات يشكل تهديدا للبديهيات الوطنية المؤسّسة، أو إنه يضمر تنكّرا للإنجازات المتحققة أو للتضحيات المبذولة. في حين أن ذلك مجرد اعتقاد خاطئ ومتسرّع ومتعسّف، وينطوي على التهرب من الحقيقة، ومن تحمل المسؤولية عن الأوضاع التي وصلت إليها الساحة الفلسطينية.

في البداية ينبغي التوضيح بأن التجربة الفلسطينية، في الأردن ولبنان والضفة وغزة، وفي ميدان الكفاح المسلح أو المفاوضات أو الانتفاضات، أو في ما يتعلق ببناء المنظمة والسلطة، لم توضع مرة على طاولة المراجعة والدراسة والتشريح والنقد والمساءلة، رغم كل التحولات والإخفاقات والمشكلات والتعقيدات الحاصلة، لتجربة طويلة عمرها 55 عاما، علما أن الساحة الفلسطينية تفتقر إلى التفكير النقدي، وإلى الكوادر الشرعية أو الجمعية التي يفترض أن تقوم بمراجعة الخيارات والسياسات، لترشيدها أو تصويبها أو تطويرها أو تغييرها. وبديهي أن ما نتحدث عنه يتعلق بالنقد المسؤول والبناء، الذي يصدر عن روح وطنية، في حين السائد من النقد الفصائلي مجرد مزايدات أو ادعاءات لا تقدّم ولا تؤخّر، أي لا يمكن وضعها في إطار التفكير النقدي؛ هذا أولا.

**الساحة الفلسطينية بحاجة إلى عقلية نقدية تغييرية لأن الوضع تجاوز مجرد الإصلاح أو الترقيع، وهذا يعني أن الأمر بات يتطلب القطع مع العقلية الفصائلية الضيقة**

ثانيا، إن المحاولات النقدية الجادة تحاول أن تطرح الأسئلة الصعبة والمعقدة، الناجمة عن تعقيدات الواقع، ومآلات تجربة طويلة وباهظة الثمن، في وقت باتت فيه الفصائل، أو الطبقة السياسية المهيمنة، لا تضيف شيئا على هذا الصعيد، سوى حرصها على استمرار الواقع القائم، علما أن تلك الطبقة هي التي أزاحت البديهيات الوطنية المؤسسة، وهو ما حصل في عقد اتفاق أوسلو 1993، لجزء من شعب في جزء من أرض مع جزء من حقوق (في الضفة وغزة)، وبنقل الرواية الوطنية المتأسسة على النكبة 1948 إلى الرواية المتأسسة على الاحتلال الذي بدأ عام 1967، وما حصل أيضا من نقل الحركة الوطنية الفلسطينية من كونها حركة تحرر وطني إلى سلطة، تحت الاحتلال، والذي عكس نفسه في تهميش منظمة التحرير الفلسطينية. لذا فإن أي نقد لهذه التحولات غير الشرعية، إنما يتطلب استعادة التطابق بين الأرض والشعب والقضية، واستعادة الحركة الوطنية الفلسطينية لطابعها كحركة تحرر وطني، وإعادة بناء منظمة التحرير الوطنية، باعتبارها ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني في كل مناطق وجوده دون استثناء. أي أن وحدة الأرض والشعب والقضية يفترض أن تنعكس في الجانبين، الرؤية السياسية، وفي الكيانية السياسية (منظمة التحرير)، وهي المراجعة التي أسهم في التأسيس لها "ملتقى فلسطين" (wp.me/pbemW1-Pn)، الذي يضم مجموعة من الشخصيات من كل أماكن تواجد الشعب الفلسطيني (وضمن ذلك من فلسطينيي 48).

ثالثا، أما في خصوص ادعاء التنكّر للإنجازات المتحقّقة والتضحيات المبذولة، فربما يجدر ملاحظة أن قيادة منظمة التحرير هي التي همّشت المنظمة، أكثر من أي طرف غيرها، وهي التي أضعفت إدراكات الفلسطينيين لقضيتهم ولكونهم شعبا واحدا، وهي المسؤولة عن تراجع مكانة القضية الفلسطينية في الأجندات العربية والدولية، أما التضحيات المبذولة فهي قدمت من أجل حقوق شعب فلسطين، وليس من أجل إقامة سلطة ثمة ملاحظات عديدة عليها في ما يتعلق بالشرعية أو النزاهة أو الأهلية الوطنية أو القيادة الفردية، ناهيك عن الارتهان طويلا لاتفاقات التنسيق الأمني والتبعية الاقتصادية.

رابعا، إن الانطباع الاستنكاري، الذي تروّج له القوى الفلسطينية المهيمنة، إذ ينطوي على تبرّم، وربما خشية، من تولد أفكار نقدية في الحقل السياسي الفلسطيني العام، فإنه ينطوي أيضا، على اختزال للسياسة، وإصرار على خصخصتها، على طريقة الأنظمة، بجعلها احتكارا للطبقة السياسية المسيطرة، بمعزل عن معظم الشعب، وبغض النظر عن علاقات المأسسة والتمثيل والمشاركة السياسية.

خامسا، أما في ما يخص النقد السائد بين الكيانات السياسية الفصائلية فهو بالذات الفائض عن الحاجة، لأنه مجرد نقد فصائلي، وسطحي ومضرّ، ولا جدوى منه، بما يتعلق بإيجاد حلول لمعضلات الساحة الفلسطينية، أو بشأن الارتقاء بفكرها السياسي. لذا ينبغي هنا التمييز بين النقد الذي تنتجه الفصائل في صراعاتها البينية، والذي يصدر عن عقليات أو حسابات فصائلية ضيقة، وبين النقد السياسي الذي يصدر عن عقليات وطنية تأخذ في حسبانها المصلحة العامة. وفي العموم فإن النقد الفصائلي المرهق والعبثي والمضرّ، ينطوي على العديد من الادعاءات وضمنها، ادعاء احتكار الحقيقة والنزاهة والشرعية والوطنية، فكل من الكيانات السياسية يدعي حق احتكار كل ذلك، هذا ما تدعيه "فتح" و"حماس"، والجبهات الشعبية والديمقراطية وحزب الشعب وغيرها. هكذا فمن الصعب أن تنتزع اعترافا من أي كيان من هذه الكيانات السياسية، مهما كان حجمه أو دوره صغيرا، إن في مواجهة العدو أو بالنسبة لمكانته عند شعبه، بأقل من هذه الادعاءات. كما لا يمكنك انتزاع اعتراف من التنظيمات الكبيرة بمسؤوليتها عن مسار التدهور الحاصل في الساحة الفلسطينية، على الأقل بالقياس لحجمها ودورها، فما دامت مسؤوليتها القيادية كبيرة، فهذا يستدعي أن مسؤوليتها عما وصلت إليه الساحة الفلسطينية كبيرة أيضا.

والحال فإن كل من حركة فتح وحماس تعتبر نفسها عصيّة على النقد أو فوق النقد، ويمكن تفسير ذلك بسيادة نمط من العقليات المغلقة والأبوية، وغياب علاقات المكاشفة والمساءلة والمحاسبة، لأن هذه الفصائل لم تتأسس على قواعد تمثيلية وانتخابية وديمقراطية. هذا يفسّر أيضا، أن بعض الفتحاويين يرون أنه ينبغي تركيز النقد على "حماس" والجبهات، وبعض الحمساويين يعتقد بتركيزه على "فتح" والجبهات، والبعض من الجبهات يرى تركيزه على "فتح" و"حماس"...!

قصارى القول، إن الساحة الفلسطينية بحاجة إلى عقلية نقدية تغييرية، أي تجديدية وتطويرية، لأن الوضع تجاوز مجرد الإصلاح أو الترقيع. وهذا يعني أن الأمر بات يتطلب القطع مع العقلية الفصائلية الضيقة، التي سادت في المرحلة الماضية، بعد أن تآكلت هذه الفصائل، وتآكل حضورها في المجتمع وفي ميدان الصراع ضد إسرائيل، من دون أن يشكل ذلك قطعا مع الخبرة الوطنية التي تم اكتسابها، ولا مع الإنجازات التي ينبغي صونها والبناء عليها وتطويرها.

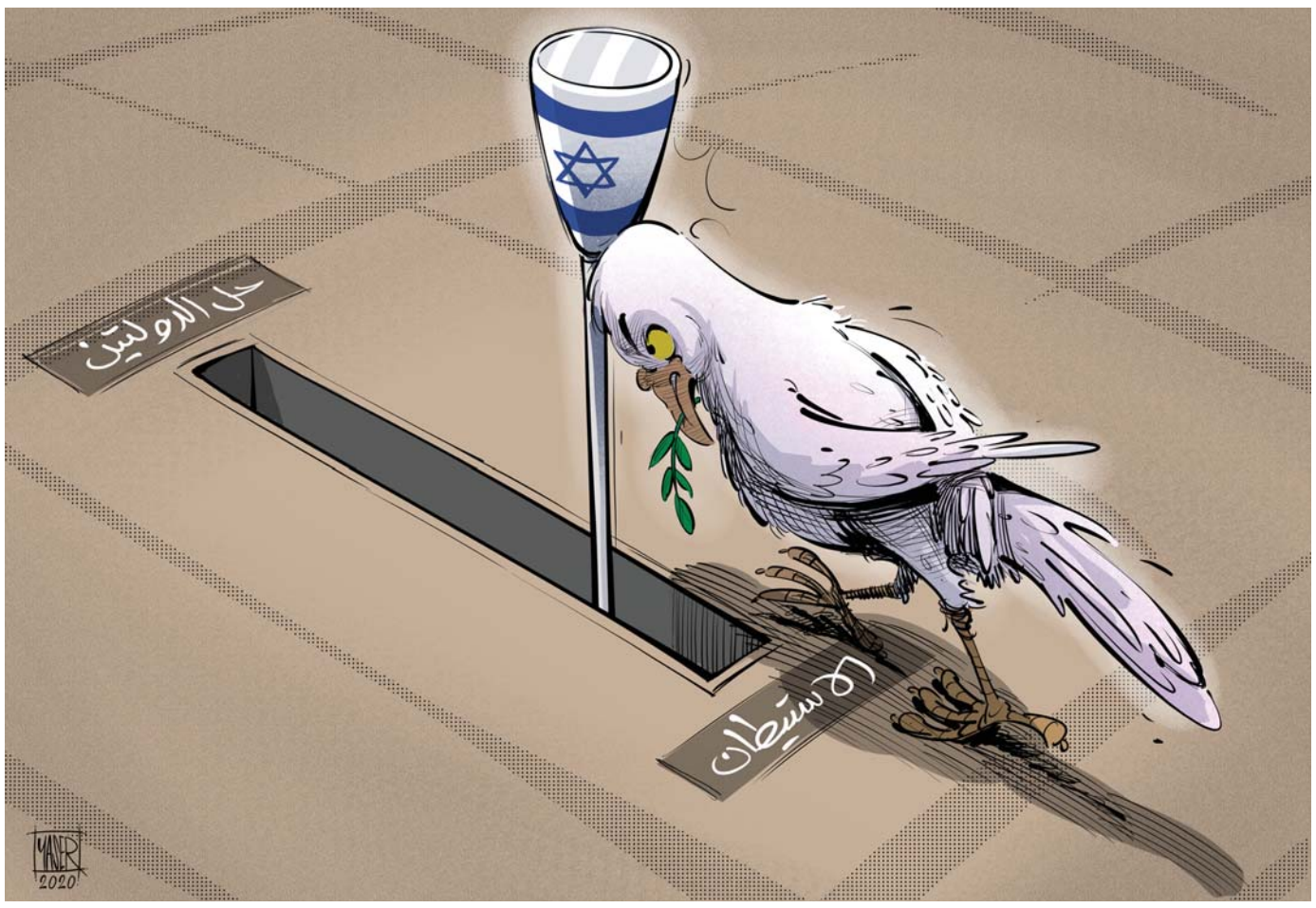


# تأخر الجميع غير أن السلام هو حل الأقوياء

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ماذا لو لم تكن إسرائيل جادة في وعودها هذه المرة أيضا؟ سؤال ساذج في مهب التغيرات الوجودية التي عصفت بالمنطقة. ليس هناك من منحى سياسي جديد. بالنسبة لإسرائيل فإن حكاية التطبيع مع العرب صارت نوعا من الماضي. فهي ليست في حاجة إلى التطبيع. إن علاقات حقيقية مع الدول العربية هي وحدها ما يضع كل شيء على ميزان الحقيقة الفلسطينية. وهو ما لا تعارضه إسرائيل إذا أظهر القادة الفلسطينيون تفهما لما يجري من حولهم.

لقد تغير العالم وتغيرت إسرائيل مثلما تغيرت الدول العربية.

ليس الخطر المشترك وحده ما يجمع إسرائيل ودولا عربية في إطار القبول بواقع جديد سيسعى الجميع من خلاله إلى الاستجابة لضرورة العيش بسلام وتبادل الخبرات الإنمائية وتقنيات القوة البشرية.

كان على إسرائيل أن تبادر في وقت مبكر إلى السعي في اتجاه تفكيك عزلتها والانفتاح عربيا لا من خلال تقديم تنازلات كما يعتقد البعض بل من خلال فهم ما يفكر فيه العرب في المرحلة التي تلت سقوط الأنظمة الوطنية وانهيار الدول القديمة وبروز إيران على السطح باعتبارها قوة عدوة عمياء ذات مزاج متشائم لا يفرق بين الدولة وعقيدتها السياسية.

ما وقف حائلا بين إسرائيل وانفتاحها على شروط حياة جديدة في المنطقة هو ذلك الضجيج الشعبوي حول التطبيع باعتباره فخ استسلام. لذلك فإنها انكفأت على نفسها ولم تكن مهتمة إلا بالخطر المباشر الذي تمثله التجمعات المسلحة التي يقيمها الإيرانيون في سوريا. لو لم تكن إيران ممثلة بحزب الله موجودة في سوريا لما التفتت إسرائيل إلى ما يجري هناك وبالأخص بعد الاتفاق مع روسيا.

لم تتدخل إسرائيل في شؤون أي دولة عربية غير أنها كانت تراقب عن كثب تدخلات إيران في شؤون الدول العربية. ولو لم تؤخذ الأنظمة العربية بعصف الشعارات القديمة لكانت تلك الأنظمة قد انتبهت في وقت مبكر إلى أن مستقبلا تهيمن عليه إيران كان من الممكن تفاديه من خلال العودة إلى حقيقة وجود إسرائيل من غير الاستمرار في الخضوع للمبادئ العاطفية التي أثبتت فشلها.

لقد غُلبت الشعوب العربية بالعاطفة فبعدت المسافة إلى "فلسطين" بعد أن تم تدمير العراق وسوريا وهيمنة حزب الله على لبنان ولم يكن البديل سوى ظهور دويلات وإمارات تسيطر عليها تنظيمات وعصابات دينية يدعو بعضها إلى قتال البعض الآخر في ظل ولاءات يتحكم بها التمويل المالي. وليست حركة حماس الفلسطينية التي اختطفت غزة سوى واحد من تلك التنظيمات.

لم تتضرر إسرائيل بشكل مباشر من ذلك التحول المأساوي غير أنها صارت محاطة بالفوضى. وهو ما لن تقبل به دولة استطاعت في وقت استثنائي أن تثبت تفوقها في مجالات النشاط البشري كافة وفي مقدمتها النشاط العلمي.

لذلك يمكن القول إن إسرائيل تأخرت في الانفتاح على الدول العربية.

كان على إسرائيل أن تبطل سحر الشعارات المنقعة بالعاطفة وتأخذ الفلسطينيين إلى المنطقة الحرجة لتظهر الحقيقة. لا أعتقد أن حل الدولتين يمكن أن يشكل خطرا على إسرائيل. في الوقت نفسه فإن الأراضي التي تضمها إسرائيل يمكن أن تعوضها سلاما ثابتا ومتينا مع العرب.

ما كان على إسرائيل أن تعيه في وقت مبكر أن قيام دولة فلسطينية إلى جوارها من شأنه أن ينهي الكثير من المشكلات في المنطقة ويهبها مكانة استثنائية وسط محيطها الطبيعي.

ومن جهتهم فإن العرب، في الجانب العاقل منهم كان عليهم أن ينتبهوا إلى اللعبة الإيرانية التي تستند في الجزء الأكبر منها على غسيل الأدمغة بالقدس والعداء لإسرائيل من أجل تسجيل نقاط وصولا إلى لحظة الانقلاب التي لا ينفع توخي الحذر فيها.

أخطأ الطرفان، العرب وإسرائيل حين تأخرا عن الوصول إلى المنطقة التي يكون فيها وجودهما المشترك حائلا دون هيمنة إيران على المنطقة.

# الإمارات والسلام مع إسرائيل

سهى الجندي
كاتبة فلسطينية

كان خبر إبرام الإمارات العربية المتحدة اتفاقية سلام مع إسرائيل مادة دسمة لكل من ينتظر الفرصة للاصطياد في الماء العكر، وكأن الإمارات خرجت عن الصف العربي، هذا إذا افترضنا أن هناك صفا عربيا، والحال لا يخفى على أحد، فالمصائب تنزل تباعا على رؤوس العرب من المحيط الى الخليج. وهذا ليس تبريرا للخطوة الإماراتية بقدر ما هو شرح لوضع واضح للجميع، أي أنه من نافلة القول. فالحروب تشتد في كل بقاع العالم العربي والخلافات تفتك بعمودها الفقري وتشل حركتها، والجوع أكثر من الشبع والماء شحيح، والبيوت تهدم فوق رؤوس ساكنيها، والأعداء يحيطون بكل بلاد العرب من شتى الأديان والأعراق، فهذا يريد إقامة الخلافة وذاك يريد تدويل بلاد الحرمين وآخر ينفذ تفجيرات في بيروت فيطالب بعض اللبنانيين بعودة الانتداب الفرنسي، وآخر يريد أن يصادر ماء مصر لكي تموت عطشا، وإسرائيل تريد أن تضم الضفة الغربية وتتسلى بقصف غزة بين الفينة والأخرى، وآخر يريد أن يلتهم ليبيا لأنها من الإرث العثماني. ماذا بقي؟

إن الخطوة الإماراتية تأتي على هامش الأحداث في مقابل الخراب المنتشر في بلدان العرب، فلا يمسك أحد الجمل من أذنه، ولينظر الجميع إلى الصورة الشمولية وكيف تتالت الأحداث حتى وصلت إلى ما وصلت إليه. فقد سمح بعض العرب لإيران وتركيا بالتغلغل إلى الداخل العربي وبدأت الدولتان بتجنيد ميليشيات هدفها تدمير البلاد العربية لكي تأتيا وتتسلما البلاد نظيفة ثم تعيدا بناءها حسب رغبتهما. فلا عجب إذن أن تلجأ كل دولة إلى السياسة التي تنقذها من هذا الجنون المنتشر في كل أرجاء البلاد العربية.

يجب أن نتذكر أن فرصة جو بايدن في الفوز بالرئاسة الأميركية جيدة، وهو الذي كان نائبا لأوباما وسوف ينتهج خطا تصالحيا مع إيران وتركيا، وهذا التحالف سوف يعطي دفعة قوية لإيران وتركيا، مما يعني زيادة في جرأتهما على الاستمرار في خططهما الرامية إلى تقطيع أوصال العالم العربي واستعماره، وسوف يطول الدمار البلاد التي لا تزال تتنفس، وعلى كل دولة أن تبحث عن مخرج لها من الكارثة المحتملة بأي وسيلة.

أما الفلسطينيون، فلو أن كل بلاد العرب طبعت مع إسرائيل علانية ما خسروا شيئا، وليس أمامهم سوى الاستفادة من وضع سيء، والبحث عن حل آخر غير إطلاق الصواريخ الورقية وتقديم الشهداء بالمجان، فالمقاومة الشعبية تكون من داخل مواقع العدو، كما حدث في فيتنام عندما كان الجندي الأميركي لا يعرف من أين أتته الطعنة، لأن المقاومة خفية ومتحركة ولا تجلس أمام العدو ليبطش بها

**هناك خيارات أخرى كالاستفادة من فئة من شباب إسرائيل الذين تأثروا كثيرا بالعولمة وآمنوا بفتح الحدود وحرية الحركة وهم يؤيدون التعايش السلمي العادل بين الفلسطينيين والإسرائيليين**

دون رحمة أو شفقة. وربما تكون هناك خيارات أخرى كالاستفادة من فئة من شباب إسرائيل الذين تأثروا كثيرا بالعولمة وآمنوا بفتح الحدود وحرية الحركة وهم يؤيدون التعايش السلمي العادل بين الفلسطينيين والإسرائيليين، ولا بأس بالتعرف عليهم من خلال وسائل الاتصال الاجتماعي والوصول إليهم، وهناك أيضا اليسار الإسرائيلي الذي يتبنى نفس الموقف ويمكن التعاون معه، أو التفكير بأي وسيلة أخرى كاستغلال الصداقة الإماراتية الإسرائيلية الجديدة لتحصيل ما يمكن من حقوق الفلسطينيين أقلها أحواض الماء العذب التي استولت عليها إسرائيل وصارت تبيعها للفلسطينيين أو حرية التنقل بين إسرائيل والأراضي الفلسطينية للعمل أو التعليم أو حتى الزواج من إسرائيليات. لذا فمن غير الحكمة تخوين الإمارات وخسارتها إلى الأبد فقد يكون للفلسطينيين خير في هذه الخطوة والله أعلم.